

الشكل الخارجي للموشحة

- ٣ -

عدد المقطوعات وأقسامها

يفهم من تعريف ابن سناء الملك أن الموشح يتكون من خمس مقطوعات في الأقل من ست مقطوعات على الأكثر . ومن الواضح أن كلامه غير دقيق ، فالموشح السابق من سبع مقطوعات وهناك موشحات من ثمانى مقطوعات (١) ، وربما من أكثر ، ولا سيما في المراحل المتأخرة من تاريخ التوشيح .

وإذا عرفنا أن الموشحة ترتبط بنظام معين من الغناء ، هو «غناء النوبة» ، فلا حدود في الواقع لامتداد عدد مقطوعات الموشحة ، وأحيانا لا حاجة لأكثر من مقطوعة ، يقوم المغنون بتكرارها بمجرد الانتهاء من غنائها لساعات وساعات . ولعل الموشحة الأولى - كما سنعرف بعد - كانت من مقطوعة واحدة ، ثم لزم الاكثار من المقطوعات لاستبعاد ملل المغنى والمستمع من ترديد نفس المقطوعة ، ويكتفى في حالة تعدد المقطوعات بترديد المطلع بعد كل مقطوعة لحفظ النغمة وانضباطها ، ويمكن عند ختام غناء الموشح المتعدد المقطوعات ترديد المطلع ثم العودة لغناء المقطوعة الأولى من جديد هكذا في دورة لا تنتهى الا بانتهاء نوبة الغناء وانفضاض مجلس الطرب .

وعدد أبيات الموشح يكون مساويا لعدد المقطوعات ، أما الأقفال فإذا وجد في الموشح القفل صفر (المطلع أو المنقال) ، فإن عددها يزيد بواحد عن عدد المقطوعات أى أن :

موشح به ٥ مقطوعات = ٦ أقفال .

موشح به ٦ مقطوعات = ٧ أقفال ... وهكذا .

(١) ديوان الموشحات الاندلسية ، ج ٢ ص ٦٧١ ، ٦٨٨ موشح رقم ٤٦ ، وراجع موشحات ابن زمرك في : القرى ، نفع الطيب ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٢٤٠ - ٢٦٦ حيث يصل عدد المقطوعات الى تسع في عدد من موشحاته .

وفي هذه الحالة يسمى الموشح «التام» أما إذا تساوت أعداد الاقفال والمقطوعات واختفى القفل صفر (وسنطلق عليه من الآن فصاعدا لفظ : المطلع) سمي الموشح «الأقرع» .

والموشح «الأقرع» نادر الوجود ، ويبدو أن السبب هو صعوبة غنائه ، ونخمن سر تسميته بالأقرع تحت احتمالين لا ثالث لهما فيما يحتمل النص :

١ - الاحتمال الاول : هو الضرورة الموسيقية والغنائية ، إذ ينبغي أن يحل محل تكرار المطلع كلازمة قرع شديد على الطبل أو على الأوتار ليصل اللحن الى قمة حدته ، أى باستعمال «الوتر الخامس» للعود (أو الدق أو الضرب المناسب على آلة أخرى) لاستخراج النغمة العاشرة الحادة حسب تقسيم اسحق الموصلي للنغمات (١) وربما بصيحات ابتدعها اسحق الموصلي قبل بدء النوبة (٢) .

٢ - الاحتمال الثانى : هو أن المطلع هو زينة الموشح وعموده الفقرى ، حيث أن تكراره يحافظ على وحدة النغم وانضباط الايقاع ، فهو على رأس الموشح مثل الشعر على رأس الانسان ، وخلو الرأس منه يجعل صاحبه «أقرع» . وهنا نتساءل عما يحدث فى حالة غياب المطلع . يظن ان المغنيين يستعملون «القفل واحد» مكانه (٣) . أما الباحث فله رأى آخر ؛ وهو أن القفل الأخير أولى من القفل الواحد ، كما سنبين بعد قليل . وقد يستغنى المغنون عن تكرار أى قفل ويستعينون بزوائد من عندهم معروفة بينهم، والزوائد الفاظ على نظام مخصوص يكتمل بها ميزان الموسيقى تضاف للكلام الشعرى أو قد يتم تحقيقها بتجزئء الأشرطة الشعرية ، وتكرار بعض الأجزاء أكثر من مرة .

(١) راجع هذا البحث : زيباب ثم اسحق الموصلي ص ٨٦ ، ثم ص ٢٦٤ - ٢٦٥ . ثم ص ٢٧٥ على التوالي .

(٢) نفسه .

(٣) الموشح الاندلسى ص ٢٧ ، ونستبعد مع ستيرن اقتراح بيدال من ان الموشح الأقرع معد للغناء أو الانشاد الفردى بعكس التام ، فهو غناء جماعى يتخلله غناء فردى ، فهو تقسيم متعسف ، فلاين عربى موشح أقرع ، والششترى أيضا لديه أكثر من موشح أقرع ، والمتصوفان من أنصار السماع ، وموشحاتهما وأزجالهما تعد للغناء الجماعى .